الفصل السادس والستون بعد المئة

الشعراء النصارى

وحديثنـــا عن الشعر النصراني ، مستمد من الموارد الإسلامية . أما النصوص الجاهلية ، فليس فيها أي شيء عن هذا الموضوع . وأما النصوص الأعجمية ، فلم تحفل به أيضاً ، ولم تتطرق الموارد الإسلامية الى الشعر النصراني نفسه ، من حيث طبيعته ومادته ، وما امتاز به عن الشعر الوثني ، أو شعر الشعراء اليهود ، وما سنذكره عن الشعراء النصارى ، مستمد من أسماء آبائهم ومن أسمـــائهم التي تدل على كونهم من النصارى ومن الشعر المنسوب اليهم .

والشعراء النصارى الذين نص على نصرانيتهم أهل الأخبار ، مثل (عدي بن زيد) العبـــادي ، أو لم ينص عـلى نصرانيتهم ، وانما يفهم من شعرهم ومن مواطنهم انهم كانوا نصارى ، هم من الحضر ، من سكان القرى ومن قبائـــل اشتهرت بتنصرها ، وقد وجدت النصرانية سبيلهـــا الى مواطن الحضر والأعراب فأقامت (بيعاً) وكنائس للتبشير بالنصرانية ، ولتعليم أتباعها أمور الديانة ،وللإشراف على ادارة شؤونهم الدينية ، وقد كان أكثر من قام بالتبشير من غير العرب في بادىء الأمر ، من روم ومن (بني إرم) ، ثم انضم اليهم رجال دين عرب ، كانوا قد تعلموا النصرانية في المدارس ، وأظهروا فهماً ونباهة فيها ،فعينوا مبشرين ومعلمين لتعليم العرب والأعراب أصول النصرانية ، ولنشرها في جزيرة العرب ، وكان من المبشرين من يتنقل مع الأعراب ، لهم خيامهم ، يرتحلون بها من مكان الى مكان ، فعرفوا لذلك برهبان الخيام .

« وكانت تنوخ في المرتبة الأولى بين عرب البادية الذين عرفوا النصرانية قبل الإسلام بزمن طويل . وقامت جماعة تنوخ على أساس حلف عقده بنو فهم وبنو تيم اللات مع قبـائل من التزاريين وغيرهم . ومن شعراء تنوخ أسد بن ناعسة التنوخي ، الذي كان معاصراً لعنترة ، وكان مولعاً بالاكثار من الألفـاظ الغريبة في قصائده ، حتى كان الخليل نفسه يتشكك في تفسيرها في كتاب العين »[1] .

وقد كانت النصرانية واسعة الانتشار على عهد الرسول ، في قضاعة ، وربيعة وتميم ، وطيء ، وكان لها أتباع في القرى العربية ، وبين الأعراب ، وبواسطتهم عرف العرب شيئاً عن النصرانية وعن رجالها الذين كانوا يقيمون في البيع ، أو يسيحون في البلاد ، ويرتحلون مع الأعراب طمعاً في تنصيرهم ،وفي تعليم المتنصرين منهم أمور الدين . فقد كان بمكة نفر من التجار النصارى ، وجماعة من الرقيق الأسود والأبيض ، كانوا على النصرانية[2] ، وكان بيثرب بعض النصارى كذلك ، وكذلك بالطائف . أما نجران ، فكانت من مراكز النصرانية المهمة في ذلك العهد . وقد ورد ان (طلق بن علي بن طلق بن عمرو) السحيمي الحنفي ، وهـو من سادة بني حنيفة باليمامة ، كان نصرانياً ، فلما ذهب الى المدينـة وشاهد الرسول أسلم أمامه ، فلما أراد العودة أخبر رسول الله ان بأرضهم بيعة ، فقال له الرسول ولمن معه : « اذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتـكم وابنوها مسجداً » ، فكسروا بيعتهم واتخذوها مسجداً ، ونضحوها بماء فضل طهور رسول الله ، وكانوا قـد جاءوا به في اداوة ، وكان يدير البيعة راهب من طيء ، فارتحل عنهم .

واذا صح هذا البيت المنسوب الى حسان :

فرحت نصارى يثربٍ ويهودها لما توارى في الضريح الملحد[3]

فإن فيه دلالة على وجود نصارى ويهود بالمدينة عند وفاة الرسول .

ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر التحدث عن مدى تغلغل النصرانية في قلوب

---

١ بروكلمن (١/١٢٤) .
٢ الاستيعاب (٢/٢٣١) ، (حاشية على الاصابة) ، (طلق بن علي بن المنذر بـن قيس ...) ، خليفة بن خياط ، كتـاب الطبقات (٦٥) ، ابـن سعد ، طبقـات (٥/٤٠٢) ، أسد الغابة (٣/٦٣) .
٣ ديوان حسان (٥٩) ، (هرشفلد) .

النصارى العرب . ولكننا نستطيع أن نقول قياساً على ما نعرفه من أحوال الأعراب وأحوال أهل القرى ، أي الحضر ، أن النصرانية كانت أوضح وأعمق جذوراً في نفوس أهل المدر ، منها في نفوس أهل الوبر . أما الأعراب فكانت نصرانيتهم اسمية في الغالب شأنهم شأن أعراب هذا اليوم ، وأعراب كل زمان ، متدينون بدين ، ولكنهم لا يعرفون من دينهم إلا الاسم ، دينهم الصحيح ، الذي يغلب على نفوسهم هو دين الفطرة ، أعني العرف الذي ولدوا ونشأوا عليه . ولكن الرهبان ورجال الدين كانوا يتنقلون بين القبائل لتنصيرهم،حاولوا جهدهم تعليمهم قواعد النصرانية وأصولها ، ومنها : عدم اغارة بعضهم على بعض ، والعيش بعضهم مع بعض بسلام ، حتى أنهم أثروا على بعض ساداتهم فحملوهم على الزهد والدخول في الرهبنة وكره الدماء ، فذكر مثلاً أنهم أثروا على (داوود ابن هبالة) سيد (بني سليح) ، من قضاعة ، فأدخلوه في النصرانية ، «وكره الدماء وبنى ديراً ، فكان ينقل الطين على ظهره والماء ، فسمي اللاشق ، فنسب الدير اليه ، وأنزله الرهبان » ، واعتزل الغزو الى أن أمره ملك الروم به ، فلم يجد بداً من أن يفعل[1] . وقد كانت العرب تتهم القبائل العربية المتنصرة بعدم قدرتها على القتال ، وتستهين بها إذا ما التحمت بها في قتال .

والشعر النصراني ، شعر سهل لين بالنسبة الى شعر الشعراء الأعراب ، وقد علل علماء الشعر ذلك بكون هؤلاء الشعراء من سكنة القرى والأرياف ، ومن سكن القرية أو الريف لان لسانه ورق كلامه ، ولهذا قالوا إن في شعر شعراء القرى لا مثل أهل مكة ويثرب ليونة ، لأنهم لم ينبتوا في البوادي ، ولم يقاسوا ما يقاسيه الأعراب من خشونة وشدة وضنك في الحياة ، بل عاشوا في استقرار وأمان في حياة ناعمة بالقياس الى حياة الأعراب ، ولهذا لان لسانهم ، وسهل شعرهم ، وصار من السهل على صناع الشعر ومزوّريه صنع الشعر على ألسنتهم ، كالذي فعلوه من وضع شعر كثير على لسان (عدي بن زيد) العبادي النصراني، وعلى شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو من شعراء ثقيف ، وعلى شعر (حسان ابن ثابت) ، وهو من شعراء يثرب .

ولا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء ، اللهم في تطرق

---

١ أسماء المغتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) (ص ١٢٧) .

شعر (عدي بن زيد) وأضرابه الى معان دينية ، والى إشارات الى بعض معالم نصرانية . اما فلسفة نصرانية ، أو حديث عن التثليث أو عن العقائد النصرانية الأساسية التي تميز النصراني المتدين عن غيره ، فلا تجد لها ولا لأمثالها موضعاً في هذا الشعر . نعم لقد تطرق (عدي بن زيد) ، وكذلك الأعشى الى قصص مستمد من أصول نصرانية ، كما تطرق الى أعياد نصرانية ، ولكننا نجد في شعر غيرهم إشارات الى الأديرة والكنائس والرهبان والرهبنة ومصطلحات نصرانية وأشياء أخرى عرفوها من احتكاكهم بالنصارى ، ومن سماعهم شيئاً عن النصرانية من النصارى العرب ، تجعل من الصعب على الباحث أن يجد فرقاً كبيراً بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين . ولهذا ذهب بعض المستشرقين الى ان من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الاسلام[1] .

ومن النصارى (العباد) ، وهم عرب تنصروا ، ولم يكونوا من قبيلة واحدة، وانما كانوا من مختلف العرب . ولفظة (العباد) لفظة خصصت بنصارى الحيرة خاصة . ويذكر في « الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام : الروم والعباد »[2]. ويظهر ان مرد ذلك ، هو ان الروم والعباد ، كانوا أصحاب ديانة ورجال دين ومؤسسات دينية منظمة ، ومدارس ، وثقافة ، فكان من الصعب عليهم وكلهم نصارى ، نبذ دينهم والدخول في الاسلام ، لا على نحو العرب الوثنيين ، الذين لم تكن لهم كتب دينية ، ولا منظمات دينية، وكل ما كان عندهم عرف وعادات وتمسك بأصنام جبلوا على عبادتها ، ولهذا كان تحولهم عنها أسهل من تحول العباد عن دينهم . وفي جملة (العباد) (بنو امرىء القيس بن زيد مناة) واليهم ينسب (عدي بن زيد)[3] .

وقد أدخل (كارلو نالينو) (أبا دؤاد) الإيادي في عداد الشعراء النصارى[4]،

---

١ George Graf, Geschichte der christlichen Arabischen Literatur, I, S. 32, Siegmund Fränkel, Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, Leiden, 1886, S. 267, Tor Andrae, Der Ursprung der Islams, S. 32. ff.

٢ الروض الانف (١/٥٣) .

٣ سيرة ابن هشام (١/٥٣) ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (١/٥٣) .

٤ كارلو نالينو (٨٩) .

ولكني لم أجد في شعره الى ما يشير الى تنصره ، فلعلّه أدخله في النصرانية ، لما عرف عن انتشارها بين إياد ، وهو (أبو دؤاد جارية بن الحجاج) ، ويقال: (جويرية بن الحجّاج بن يحمر بن عصام بن منبّه بن حذافة بن زهر بن إياد بن نزار بن معد) ، وقيل : (حنظلة بن الشرقي) شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وصّافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها . ذكر أهل الأخبار أن « ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد : طفيل،وأبو دؤاد ، والنابغة الجعدي . فأما أبو دؤاد ، فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر ، وأما طفيل فإنه كان يركبها ، وأما الجعدي فإنه سمع من الشعراء فأخذ عنهم » . وقال (أبو عبيدة) : « أبو دؤاد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام ، وبعده طفيل الغنوي والنابغة الجعدي »[1] . وله شعر في المدح والفخر ، لكن شعره في الخيل أكثر[2] . ومما يلفت النظر ، أن يكون أكثر شعر أبي دؤاد في وصف الخيل ، ثم يكون مدحه لقومه بأنهم (أهل البغال) . حيث ورد في شعر هو :

نشدتكم بالله يا أهل البلد ... هل سابق فيكم لمجد من أحد
إلا إياد بن نزار بن معدّ ... أهل البغال والقباب والعدد
ما سامهم في الدهر ملك بعقد[3]

وإني أشك في هذا الشعر،فأسلوبه لا يدل على أنه من أساليب شعراء الجاهلية، ولا سيما الشطر الأول من البيت الأول ، ثم إن هذا النسب المسطور في الشطر لأول من البيت الثاني ، هو نسب ظهر في الإسلام ، وعرف في أيام الأمويين .

وذكر ان (الحجاج) كان معروفاً بـ (حمران) . ولذلك قيل لأبي دؤاد : (جارية بن حمران) . وقيل له : (حارثة بن الحجاج) ، كما قيل له : (جريرة) ، و (حوثرة) ، ويظهر ان مصدر هذا الاختلاف هو وقوع النساخ في أخطاء في أثناء تدوين الاسم ، فاختلط الأمر عليهم بين (جارية) و (حارثة) ،

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٥٩) ، تاج العروس (٢/٣٤٧) ، (داد) ، الاغاني (١٥/٩١) ، الخزانة (٤/١٩٠) ، المؤتلف والمختلف (١١٥) ، الموشح (٧٣) ، الاغاني (١٦/٩١ وما بعدها) ، (ساسي) ، الشعر والشعراء (١/١٦١ وما بعدها) ، العيني (٢/٣٩١) .
٢ الاغاني (١٥/٩٥) ، غرونبأوم (٢٦٢) .
٣ غرونبأوم (٣٠٢) ، وهو من الرجز ، منقول من جمهرة ابن الكلبي ، الورقة ٣١ .

وبين (جويرة) ، و (جريرة) ، و (حوثرة)[1] ، وهو اختلاف طالما نجده في أسماء وفي ألقاب الأشخاص الجاهليين ، يقع بسبب التصحيف .

وهو من (بني حذاقة) ، كما يظهر من شعر ينسب لطرفة ، وقد أشار (أبو دؤاد) في القصيدة الميمية التي تنسب اليه الى (حذاق) بقوله :

من رجال من الأقارب فادوا من حُذاق، هم الرؤوس الكرام[2]

وحذاق قبيلة من إياد .

وكان شاعرنا من إياد ، وقد تزوج امرأة من قبيلته ، ماتت بعد أن تركت له صبياً اسمه (دؤاد) ، فتزوج امرأة أخرى ، طلقها لأنها كانت تمقت ابنه ، وكان ابنه شاعراً ، رثى والده يوم وفاته . وقد تزوج (أبو دؤاد) امرأة أخرى هي (أم حبتر) لكنها طلقته لتبذيره وإسرافه ، وللخصومات التي كانت تقع بينهما[3] . ويظهر انه ترك ابنة اسمها (دؤادة)[4] .

وقد ذهب (بروكلمن) الى انه كان من المعاصرين للمنذر بن ماء السماء،الذي قدر وقته فيما بين حوالى (٥٠٦) و (٥٥٤) للميلاد[5] . وذهب (فون غرونباوم) الى انه كان حياً من سنة ٤٨٠ الى حوالى (٥٤٠ — ٥٥٠) للميلاد[6] .

وقد ورد اسم (أبو دؤاد) في شعر (طرفة) ، كما ذكره (الأسود بن يعفر) ، الشاعر نديم (النعمان بن المنذر) ، حيث يقول :

ماذا أؤمل بعد آلِ محرق تركوا منازلهم ، وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

---

١ « وأبو دؤاد الايادي ، وهو حوثرة بن الحارث بن الحجاج » ، اليعقوبي (١/٢٣٣) ، (طبعة النجف) ، العيني (٣/٤٤٥) ، غوستاف فون غرونباوم ، دراسات في الادب العربي (ص ٢٥٥) .

٢ الشعر والشعراء (١/١٦٢) ، الخزانة (٤/١٩١) ، (بولاق) .

٣ الاغاني (١٥/٩٥ وما بعدها) ، غرونباوم ، دراسات (٢٥٨) ، الامدي ، المؤتلف (١١٦) .

٤ الاغاني (١٥/٩٨ وما بعدها) ، غرونباوم ، دراسات (٢٥٨ وما بعدها) .

٥ بروكلمن (١/١١٨) .

٦ دراسات في الادب العربي (٢٥٦ وما بعدها) .

نزلوا بأنقرة يسيـــلُ عليهمُ ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرهـــا لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم دؤاد[1]

وكعب بن مامة من إياد،وابن أم دواد ، هو الشاعر أبو دؤاد (أبو دواد) الإيادي . و (انقرة) موضع بالعراق على مقربة من الحيرة[2] . ويظهر من هذا الشعر ، أن (إياداً) ، أو فرعاً منها ، نزلوا بأنقرة ، بزعامة كعب بن مامة والشاعر أبو دؤاد .

وكان في عصر (كعب بن مامة) الإيادي ، الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقه (النميري) فمات عطشاً ، فضرب به المثل في الجود ، وبلغه عنه شيء فقال :

وأتاني تقحيم كعبٍ الى المنطقِ إن النكيثة الأقحام
في نظام ما كنت فيه فلا يحزنك قولٌ ، لكل حسناء ذام
ولقد رابني ابن عمي كعبٌ إنه قد يروم ما لا يرام
غير ذنب بني كنانة مني ان أفـــارق فإنني مجذام

وكان بعض الملوك أخافه ، فصار الى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن اليه، فضرب المثل بجار أبي دؤاد ، قال طرفة :

إني كفاني من همٍّ همت به جار كجارِ الحذاقي الذي انتصفا

والحذاقي هو (أبو دؤاد) ، والحذاق قبيلة من إياد .

ويقال : انما أجاره الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وذلك ان قباذ سرّح جيشاً الى إياد ، فيهم الحارث بن همام ، فاستجار بـه قوم من إياد فيهم أبو دؤاد ، فأجارهم .

وذكر ان جار (أبي دؤاد) هو كعب بن مامة[3] ، وكان (أبو عبيدة)

---

١ الشعر والشعراء (١/١٧٦) ، (الاسود بن يعفر) .
٢ تاج العروس (٢/٥٨٢) ، (نقر) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٦١ وما بعدها) ، الخزانـــة (١/٤٠٨ وما بعدهـــا) ، (بولاق) .

يذكر ان جار (أبي دؤاد) ، هو (كعب بن مامة) ، وأنشد لقيس بن زهير ابن جذيمة في ربيعة بن قُرط :

أحاول ما أحاول ثم آوي الى جارٍ كجارِ أبي دؤاد[1]

ويظهر أن (قباذ) لما أرسل جيشاً على (إياد) هربت من مواطنها فأجارها (الحارث بن همام) . وورد في رواية أن جَدَباً حل بإياد ، فاضطرت بطونها على الارتحـال الى مواضع أخرى ، وكانت لهم ناقة اسمها (الزباء) ، كانوا يتبركون بها ، فخرجت تلتمس لهم الخصب والمرعى ، حتى بركت بالحارث بن همام ، فنزلت إياد عنده ، وأجارهم[2] .

وتذكر رواية أن (الحارث بن همام) ودى ابناً لأبي دؤاد : غرق حين كان أبو دؤاد في جواره ، فدحـه . فحلف الحارث أنه لا يموت لأبي دؤاد ولد ، إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه عليه[3] .

ويرى (غرونباوم) أن (أبا عبيدة) ، هو الذي صيّر (كعب بن مامة) الإيادي جار (أبي دؤاد) ، وقد تابعه من جاء بعده على ذلك ، فصار (كعب) بذلك مجير شاعرنا ، بينما هو (الحارث بن همام)[4] . وسبب ذلك أن (كعباً) كان قد اشتهر بالكرم والإيثار وتقديم الغريب على نفسه ، حتى أنه ضحى بنفسه في سبيل صاحبه (النمري) حتى فضله بعض أهل الأخبار على (حاتم) الطائي في الجود[5] . ثم إن كعباً من إياد ، فربما فضل بنو إياد أن يكون منهم أسخى وأكرم رجل في العرب ، عـلى أن يكون من غيرهم ، ولذلك افتخروا به ، فنسبوا الجوار له ، وحذفوه من (الحارث بن همام) ، وهو من (بني شيبان).

وهناك رواية تجعل (المنذر) جاراً لأبي دؤاد ، لأنه ودى أبناء (أبي دؤاد)، ودى كل ابن مائتي بعير ، حينما قتلهم (رقبة بن عامر) البهراني ، وكان رقبة

---

١ الشعر والشعراء (١/١٦٢) .
٢ غرونباوم ، دراسات (٢٥٩) .
٣ المصدر نفسه (٢٥٩) .
٤ غرونباوم ، دراسات (٢٥٩ وما بعدها) .
٥ البخلاء ، للجاحظ (١٥٨ ، ٢١٨ ، ٣٨٢) ، ثمـار القلوب (٩٨ ومـا بعدها) ، المحاسن والاضداد (٥٤) ، الحيوان (٢/٣٧) ، البيان والتبيين (١/١١٢) .

في جوار المنذر[1] . وذكر (البغدادي) ، ان أحد الملوك أحسن الى (أبـي دؤاد) وأجاره ، فضرب المثل بجار (أبـي دؤاد) ، ولم يذكر اسم الملك . قال طرفة:

إني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحذاقي اللذي انتصفا[2]

وقد ذكر (البغدادي) في الجزء الأول من الخزانة في تفسير بيت قيس بن زهير بن جذيمة :

أطوّف ما أطوّف ثم آوي الى جار كجار أبـي دواد

« وأبو دواد ، هو أبو دواد الإيادي الشاعر المشهور ، وجاره كعب بن مامة الإيادي ، الجواد المشهور ، وقيل : بل هو الحارث بن همام بن مرة ، وكان أسر أبا دواد ناساً من قومه ، فأطلقهم وأكرم أبا دواد وأجاره فمدحه أبو دواد وأعطاه ، وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له . ويقال ان ولد أبـي دواد لعب مع صبيان في غدير فغمسوه فمات ، فقال الحارث : لا يبقى صبي في الحي إلا غرق . فودى ابنه بديات كثيرة »[3] .

ونسب بعض رواة الشعر اليه القصيدة التي أولها :

أعنّي على برقٍ أراه وميض يضيء حبياً في شماريخ بيض

وهي قصيدة تنسب أيضاً الى (امرىء القيس)[4] .

ونسب (الأصمعي) له قوله :

ويصيخ أحياناً كما استمع المضل دعـاء ناشد[5]

وقد تمثل بشعره ، ومما تمثل به قوله :

أكل امرىء تحسبـين امرءاً ونارٍ تحرق بالليـل نارا

---

١ الاغاني (١٥/٩٩) ، غرونباوم (٢٦٠) .
٢ الخزانة (٤/١٩١) .
٣ الخزانة (١/٤٠٨) ، (بولاق) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٠٣) .
٥ رسالة الغفران (٤٠٩) .

وقوله :

الماء يجري ولا نظام له لو وجدَ الماء مخرقاً خرقه[1]

ومن شعره :

ترى جارنا آمناً وسطنا يروح بعقدٍ وثيق السبب
إذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناجَ وعقد الكرب

أخذه الحطيئة ، فقال :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

وكان الحطيئة من المقدرين لشعره . قيل له من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

لا أعد الإقترارَ عَدماً ولكن فقدُ من قد رزئته الأعدام

من قصيدة تعدّ من أجود شعره[2] .

ومن شعره قطعة هجا فيها رجلاً اسمه (امرؤ القيس بن أروى) ، إذ يقول فيه :

امرأ القيس بن أروى مولياً ان رآني لأبوأنْ بسبد
قلت بجلاً ، قلت قولاً كاذباً إنما يمنعني سيفي ويد[3]

وقد وضع (غرونباوم) قبل هذين البيتين : بيتاً هو :

وفتو حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد[4]

---

١ الشعر والشعراء (١/١٦٣) ، (الثقافة) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٦٢) ، (الثقافة) .
٣ اللسان (٣/٢٠٢) ، (بحرا) ، (سبد) ، (بجرا) ، تاج العروس (٢/٣٧٠) ، (سبد) . وقد ورد البيتان على هذه الصورة : « قال أبو دؤاد الايادي :
امرؤ القيس بن أروى مقسم ان رآني لأبوأن بفند
قلت بجلا قلت قولا كاذبا انما يمنعني سيف ويد »
تاج العروس (٧/٢٣١) ، (بجل) .
٤ غرونباوم ، دراسات (٣٠٥) .

وقد ورد في (اللسان) وفي (التاج) على هذه الصورة :

في فتو حسن أوجههـــم من إياد بن نزار بن مضر[1]

وعندي ان هذا البيت من الشعر المصنوع ، لأن هذا النسب ، لم يعرف إلا في الاسلام ، ولا يوجد دليل يثبت وقوف الجاهليين عليه . وهو عـــلى الصورة التي ورد عليها في لسان العرب وفي تاج العروس خطأ ، لأن نزاراً ليس ابن مضر في عرف أهل الأنساب ، كما سبق أن تحدثت عن ذلك في باب العرب المتعربة .

وقد نسب هذا البيت الى (الحارث بن دوس الإيادي)[2] .

ونجد الشاعر يرثي رجلاً اسمه (أبو بجاد) ، نعتـه بـ (أبـي الأضياف في السنة الجماد) ، وهذا الوصف هو من الأوصاف الدالة على غاية الكرم ، إذ يلجأ الناس اليه في أيام الجوع وانحباس المطر وحصول القحط ، حيث يجب أن يبخل الانسان بماله من الإسراف في انفاقه ، أما هو فلكرمه لا يحفل بسنة المحـل سنة الجماد ، بل يعطي وينفق على كل من يلجـأ اليه مستجيراً . ولا نعـــلم من خبر (أبي بجاد) هذا شيئاً يذكر[3] . وقد ورد في (تاج العروس) : « وأبو البجاد شاعر سمي ببيت قاله :

فويل الركب إذ آبوا جياعاً ولا يدرون ما تحت البجاد »[4]

ولكن هل توجد صلة بين (أبـي بجاد) الممدوح ، وبين (أبـي البجاد) الشاعر ؟ وجوابي : لا .

وقد أشار (أبو دؤاد) الى قتال وقع بين (بني شهران) وبين قوم آخرين لم يشر الى اسمهم ، وذلك في هذا البيت :

وكَلّت رجال بني شهران تتبعها خضراء يرمونها بالليل من شمم[5]

---

١ اللسان (٣/٧٧) ، (أيد) ، تاج العروس (٢/٢٩٣) ، (آد) .
٢ العمدة (٢/٧٩) .
٣ تاج العروس (٥/٩٩) ، (هض) ، اللسان (٩/١١٦) ، (هض) .
٤ تاج العروس (٢/٢٩٤) ، (بجد) .
٥ غرونباوم ، دراسات (٥٦) .

وينسب رواة الشعر له شعراً زعم أنه قال فيه :

ضربنا عـــلى تُبع جزية جياد البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هـــارباً وكان جباناً كثير الكذب
واتبعتـــه فهوى للجبين وكان العزيزُ لها من غلب[1]

وتبع ، لقب يطلقه العرب على ملك حمير ، فيقولون تبابعة اليمن ، يريدون ملوك اليمن . والتبع (أبو كرب) هو الملك : (أبو كرب أسعد) وهو ابن الملك (ملك كرب يهأمن) ، الـــذي حكم من سنة (٣٨٥) حتى السنة (٤٢٠) للميلاد[2] . ولكـــن كيف ضربت (إياد) الجزية على (تبع) ، وكيف وصل الشاعر الى اليمن البعيدة عن إياد ؟ قد يقال إنه أشار الى غزو قام به أحد ملوك الحيرة على (أبي كرب أسعد) ، تبع اليمن ، انتصر فيه ملك الحيرة عـــلى التبع ، وكان هو وقومه قد ساهموا فيه ، ولكننا لا نستطيع التأكـد من ذلك ، إذ من يثبت لنا أن هذا الشعر هو شعر صحيح ، لم تصنعه العدنانية عـــلى لسانه في الإسلام حتى نصدق بصحة الخبر !

ونجد في شعره إشارة الى (قباذ) ، والى (الحضر) ، إذ يقول :

أين ذو التاج والسرير قبـــاذ خبنته الأيام فبادَ احدى الحُبون
ولقد عاش آمنـــاً للدواهي ذا عتاد وجـــوهر مخزون
وأرى الموت قد تدلى من الحضر على ربّ أهلـه الساطرون
صرعته الأيام من بعد ملكٍ ونعيم وجـــوهر مكنـــون
ملك الحضر والفرات فما دجلةّ شرقـــاً فالطور من عابديـن
ولقـــد كان في كتائب خُضر وبـــلاطٍ يشاد بالآجـــرون[3]

و (قباذ) ملك من الساسانيين حكم من سنة (٤٨٣ – ٥٣١) بعد الميلاد ، وأما (الساطرون) فقد تحدثت عنه في الجزء الثاني من هذا الكتاب[4] .

---

١ غرونباوم ، دراسات (٢٩١) .
٢ راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص ٥٧٤) .
٣ حماسة البحتري (٨٧) ، تـــاج العروس (٢/٢٦١) ، (٩/٢١٤) ، الامـــالي ، للشجري (١/١٠٠ ، ٣٦١) ، غرونباوم ، دراسات (٣٤٥) .
٤ (٦١٥ وما بعدها) .

ولدينا قطعة من الشعر نسبت اليه ، وردت فيها أسماء مواضع مثل : (هضب ذي الأسناد) ، و (السيلحين) ، و (برقة الأثماد) ، ثم أشار الى معركة وقعت بين (إياد) قومه وبين (تنوخ) انتصفت فيها (إياد) من تنوخ ، إذ يقول :

ولقد صبّين على تنوخٍ صبّة فجزينهم يوماً بيوم قحاد[1]

وكان علماء العربية لا يستشهدون بشعر (أبي دؤاد) ولا بشعر (عدي بن زيد العبادي) ، لأن ألفاظها ليست بنجدية[2] .

ذكر (الجاحظ) ان (أبا إياس) النصري ، وكان أنسب الناس ، كان يقول : « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دواد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي »[3] . ويروي (الأصمعي) ان الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد ، لأن ألفاظها ليست بنجدية ، ولمخالفتهما مذاهب الشعراء[4] ، ولم يكن (الأصمعي) ممن يهوى اليه كثيراً ، بدليل انه جعل شعره صالحاً غير انه لم يجعله في عداد فحول الشعراء[5] .

وورد في الأخبار ان (الحطيئة) ، كان يرى انه أشعر الناس . فقد ورد ان (سعيد بن العاص) سأل (الحطيئة) : أي الناس أشعر ؟ قال : الذي يقول:

لا أعد الإقتار عُدماً ولكن فقد من قد رزئته الأيام

وقائل هذا البيت ، هو أبو دواد الإيادي[6] .

وكان (أبو الأسود) الدؤلي ، وهو من الحذّاق العالمين بالشعر ، يتعصب له[7].

---

١ غرونباوم (٣١٠ وما بعدها) ، وقد أشار الى الموارد التي أخذ منها تلك الابيات .
٢ الشعر والشعراء (١٢٠) ، الاغاني (١٦/٩١ وما بعدها) ، الموشح ، للمرزباني (٧٣) ، الجرجاني ، الوساطة (٤٧) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١١٩ ، ١٢٦) ، الشعر والشعراء (١/١٦٢) ، (دار الثقافة) .
٣ البيان والتبيين (١/٣٢٣) .
٤ الاغاني (١٥/٩٧) ، الخزانة (٤/١٩١) ، الموشح (٧٣) .
٥ غرونباوم (٢٦١) .
٦ رسالة الغفران (٥٧٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٦٠) .
٧ غرونباوم (٢٦١) .

وكانت (إياد) تفخر بشاعرها (أبي دؤاد) ، وتقول : منّا أجود العرب : كعب بن مامة ، ومنّا أشعر الناس : أبو دؤاد ، ومنّا أنكح الناس: ابن الغز[1] . وقد ادعت إياد أن الشعر بدأ بها ، لأنه بدأ بأبي دؤاد[2] .

وقد استشهد علماء شواهد النحو ببيت له ، هو :

ربما الجامل المؤبل فيهم وعناجيج بينهن المهار

وقد ذكر السيوطي أنه من قصيدة طويلة عدّتها ثمانية وسبعون بيتاً[3] .

وقد عدّه بعض أهل الأخبار في الشعراء المقلين[4] . ونجد له شواهد في الاتعاظ والأمثال وفي الشعر الجيد وفي أمور النحو ، وفي البديع[5] . « ولدينا أحد عشر مطلعاً لإحدى عشرة قصيدة من قصائد أبي دؤاد وكلها مصرّعة »[6] . ويرى (غرونباوم) قلة ما في شعر (أبي دؤاد) من الإقواء ، فلم يقف في شعره إلا على اقواءين ، ووجد بيتين ، أحدهما من الرجز والآخر من الوافر ، يبدو فيهما شيء من عدم الاستواء . وله مزايا خاصة استعملها في تفعيلات الخفيف . وأرى أن التشعيث الذي لاحظه (العيني) في الأصمعية (٧٢) ، « لا يعد خطأ ، بل هو مظهر من مظاهر التطور الفني في هذا الوزن ، مظهر استنكر أو نسي مع الزمن حين ظهر علم العروض ، بعد حوالى قرنين من وفاة أبي دؤاد »[7] .

وقد شرح ديوان (أبي دؤاد) العالم (ابن السكيت) ، وقد نقل منه (البغدادي) في الخزانة[8] . وقد ذكر (البغدادي) ان (لأبي دؤاد) ديواناً وقف عليه وأخذ منه ، غير انه لم يذكر اسم جامعه[9] . وفي الشعر المنسوب اليه

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٥٩) ، الاغاني (١٥/٩٧ وما بعدها) .
٢ المزهر (٢/٤٧٧) ، (تنقل الشعر في القبائل) .
٣ الخزانة (٤/١٨٩ وما بعدها) ، (بولاق) .
٤ المزهر (٢/٤٨٦) ، (المقلون من الشعراء) .
٥ راجع البيت الخامس عشر من الاصمعية ٢٩ ، والبيت الثالث من القطعة (٤٨) ، غرونباوم (٢٦٢) ، الباقلاني ، اعجاز (٧٩) ، النويري (٧/١١٢) .
٦ غرونباوم (٢٦٦) .
٧ غرونباوم (٢٦٧ وما بعدها) .
٨ الخزانة (٤/١٩٠) .
٩ الخزانة (١/٩) .

شعر مصنوع ، وقد ذُكر ان (خلف الأحمر) صنع على أبي دؤاد أربعين قصيدة[1] . ونجد في الشعر الذي جمعه (غرونباوم) لأبي دؤاد شعراً لا يصح انه من شعره ، كما ان في شعره ما نسب لغيره ، ومنهم شعراء من إياد ، مثل (أبي المنذر) الإيادي[2] .

ومن شعراء (إياد) : (لقيط بن يعمر) ، وقيل (معمر) الإيادي . وإياد من قبائل (نزار) ، ومن أكثر قبائل هذا الحلف عدداً ، قيل انهم كانوا لقاحاً لا يؤدون خرجاً ، وهم أول معدي خرج من تهامة ، فنزلوا السواد ، وغلبوا على ما بين البحرين الى (سنداد) و (الخورنق) . وكانوا أغاروا على أموال لأنوشروان فأخذوها ، فجهز اليهم الجيوش ، فهزموهم مرة بعد مرة ، ثم ان إياداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة ، فوجه اليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفاً في السلاح ، وكان (لقيط) متخلفاً عنهم بالحيرة ، فكتب اليهم :

سلام في الصحيفة من لقيط ... الى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم ... فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهمُ ستون ألفاً ... يُزجون الكتائب كالجراد

فاستعدت إياد لمحاربة جنود كسرى ، ثم التقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، أصيب فيه من الفريقين ، ورجعت عنهم الخيل ، ثم اختلفوا بعد ذلك ، فلحقت فرقةٌ بالشام ، وفرقة رجعت الى السواد ، وأقامت فرقة بالجزيرة . ونسبوا له قصيدة أخرى ، ذكروا انه نظمها في هذه القصيدة[3] . من جملة ما ورد فيها :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمرَ من فزعا
هيهات ما زالت الأموال من أبد ... لأهلها إن اصيبوا مرة تبعا

ومنها قوله في اختيار الرئيس وتدبير الحرب والانصياع للقائد :

وقلدوا أمركم لله دركمُ ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

---

١ غرونباوم (٢٦٠) ، الموشح (٢٥٢) .
٢ غرونباوم (٢٨١ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١٢٩/١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٣/٢٠) ، بروكلمن (١١٢/١) .

لا مترفاً إنّ رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به جزعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتّبعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم السنّ لا قحماً ولا ضرعا[1]

وأنا إذ أذكر (لقيط بن يعمر) في هذا الفصل ، فلا أريد بذلك اثبات انه كان من الشعراء النصارى ، لأني لا أملك نصاً بذلك ، إنما أدخلته هنا لمجرد أنه شاعر من شعراء إياد ، كما أدخلت (أبا دؤاد) الإيادي فيه لما ذهب (نالينو) الى أنه من النصارى ، وقد كانت النصرانية متفشية في إياد وتغلب ، وقبائل أخرى من قبائل العراق وبلاد الشأم ، والبادية التي بينها .

أما (عدي بن زيد) العبادي ، فهو نصراني من غير شك ، فالعباديون ، نصارى ، وقد أطلقت اللفظة عند العرب على النصارى ، نصارى الحيرة ، كما نص أهل الأخبار على تنصره . وقد كان شعره سهلاً ليناً ، بعيداً عن شعر شعراء نجد ، قال (الأصمعي) : « كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد لمخالفتها مذاهب الشعراء »[2] أو « لأن ألفاظها ليست بنجدية »[3]. وقد روى (الجواليقي) له شعراً في كتابه (المعرب)،وهو كتاب ألفه في المعربات، وفي استشهاده بشعره دلالة على تأثره بالآرامية وبالفارسية التي درسها في (الكتاب)[4].

واذا أخذنا بمذهب (الأصمعي) من ان الرواة كانت لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد ، لمخالفتها مذاهب الشعراء ، وما ذكره غيره لأن ألفاظها ليست نجدية ، ولأن عدياً سكن الريف ، فلان شعره وبان ذلك على لسانه ، ولأنه تأثر بلغة أهل الحيرة ، واستعمل ألفاظهم ، وما شاكل ذلك من حجج ، وجب علينا رفض الاستشهاد بشعر (أمية بن أبي الصلت) كذلك ، فقد كان من أهل قرية ، وقد استعمل في شعره ألفاظاً لم تعرفها العرب ، وقرأ الكتب ، كما يجب إدخال (الأعشى) معها أيضاً ، لأنه خالط أهل الريف ، واتصل بالحضر وبالأعاجم ، واستعمل في شعره ألفاظاً معربة ، كما اختلف مذهبه في الشعر عن

---

١ بلوغ الارب (٣/١١٤ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١/١٣٠) .
٢ الاغاني (٢/١٨) ، (١٥/٩١ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٦٢) .
٤ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (٩٠) .

مذهب شعراء البادية الأعراب ، فضلاً عن كونه من أهل اليمامة ، وأهل اليمامة ممن اختلط لسانهم بلسان أهل اليمن ، وتأثر بهم .

ويخالف شعر (عدي) شعر شعراء نجد في ابتعاده عن الأعاريض الطويلة وميله الى الأعاريض القصيرة ، كما يخالفهم في أسلوب خمرياته ، فهو في وصفه الخمر قريب من أسلوب (الأعشى) في الخمريات . وله أوصاف بديعة للخمر ، تعبر عن معان حضرية ، نابعة من طبيعة القرى والريف ، وبهذا الوصف اختلف عن وصف امرىء القيس أو غيره من الشعراء للخمر . كما امتاز بوصفه القيان ومجالس الشرب ، وما كانت تولده له من نشوة وطرب ، واتخذ (عدي) من الخمر ، فلسفة دفعته الى الزهد ونبذ الغرور ، لأن الدنيا زائلة ، وكل شيء فيها لا بد وأن ينتهي الى زوال . وهو شعر انبثق من طبيعة (عدي بن زيد) ثم من الأحوال التي مرت عليه ، والتي انتهت به الى السجن ، بعد أن وصل أعلى ما يصل اليه إنسان في زمانه وفي مكانه .

واتخذ (عدي) من القصص القديم عبراً وجهها من سجنه الى (النعمان) والى الشامتين به ، الحاسدين له ، الذين كانوا سبب نكبته ، بأن قال :

أيها الشامت المعير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيـ ـام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أيـن قبلـه سابور
وبنو الأصفر الكرامُ ملوك الـ ـروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلـ ـساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملـ ـلك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ شـ ـرّف يوماً وللهدى تفكير
سرّه ماله وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبـ ـطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأ مـة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جـ ـفّ فألوت به الصبا والدبور[1]

١ الشعر والشعراء (١/ ١٥٠ وما بعدها) .

وله شعر آخر أوله :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ، فرماك الشوق قبل التجلد

قالى فيه :

أعاذل ما يـدريك أن منيّتي الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
ذريني فإني انمـا ليَ ما مضى أمامي من مالي إذا خف عودي
وحمّت لميقـات إليّ منيـتي وغودرت قد وسدت أو لم أوسّد[1]

وهو شعر نبع من واقع حاله الذي صار اليه ، فهو لا يدري متى وفي أيـة ساعة ستأتيه منيته . ومن زج في سجن مثل سجنه ، وصار في حال مثل حاله ، يكون قلقاً لا يدري ما الذي سيكون مصيره ، فهو شعر يعبر عن شعور انساني ينتاب الانسان في مثل هذه المواقف ، ليس له علاقة بنصرانية أو بدين .

والشعر المذكور إن صح انه من شعر (عدي) ، وانه غير مصنوع ولا معمول عليه ، يكون قد قدم لنا قصصاً قديماً من قصص أهل الجاهلية، وحكايات كانوا يروونها من حكايات التأريخ ، ويكون بذلك شاهداً على ان أهل الحيرة، والمثقفين منهم بصورة خاصة كانوا يعرفون تأريخ الماضين ، وقد وقفوا على تأريخ الفرس وتأريخ الروم ، والحضر ، وتأريخ غيرهم من شعوب معاصرة لهم، ومن شعوب غابرة ، وردت أخبارها في الكتب القديمة ، ولا سيما في الكتب المقدسة وفي كتب التواريخ . فنحن نجد له قصيدة أشار فيها الى خطيئة آدم ، وهذه الخطيئة تلعب دوراً خطيراً في كل الأديان السماوية المعروفة التي أقرت بالكتب المقدسة ، وقد صاغ قصتها على هذا النحو :

قضى لستـة أيّام خليقتـه وكان آخرها أن صوّر الرجلا
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا
ثُمتَ أورثهُ الفردوسَ يعمرها وزوجه صنعة من ضلعـه جعلا
لم ينههُ ربّهُ عن غير واحدة من شجرٍ طيّب: أن شَمّ أو أكلا
فكانت الحيّة الرقشاء إذْ خلقت كما ترى ناقة في الخلق أو جملا
فعَمدا التي عن أكلها نُهيـا بأمر حواءَ لم تأخذ له الدّغلا
كلاهما خـاط إذْ بُزّا لبوسهما مِنْ ورق التين ثوباً لم يكن غزلا

فلاطَها الله إذ أغوت خليفتهُ طول الليالي ولم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عَمِرتْ والترب تأكله حزناً وإن سُهلاَ
فأتعبا أبوانا في حياتهما وأوجدا الجوع والأوصاب والعللا
وأوتيا الملكَ والانجيل نقرأه نشفى بحكمته أحلامنا عللا
من غير ما حاجة إلا ليجعلنا فوق البرية أرباباً كما فعلا[1]

والشعر هذا مذكور في كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وفي ذكره له ، دلالة على أنه قد كان معروفاً في أيامه ، وهو يستند على ما ورد في (سفر التكوين) السفر الأول من أسفار التوراة ، وفيه قصة الخليقة ، ونجد قصة (الحية) في في شعر (أمية بن أبي الصلت) ، حيث يقول :

كذي الأفعى تَربَبّها لديه وذي الجنى أرسلها تساب
فلا ربّ البريّة يأمننها ولا الجني أصبح يستتاب

وقد دوّن هذين البيتين (الجاحظ) كذلك في كتابه : (الحيوان) ، مما يدل على أنهما كانا معروفين ، وهما من قصيدة ذكرها الجاحظ قبلها في رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق ، ثم عن منادمة الديك الغراب ، واشتراط الحمامة على نوح[2] :

وقصة (عدي) قصة أوضح وأقرب الى الأصل المذكور في الاصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين ، من القصة المذكورة في الشعر المنسوب الى (أمية) . يظهر أن ناظمها قد صاغها عن مطالعة وعن إلمام عام بها . فهي في الواقع قصيدة شملت قصة دينية ، ضمت اسطورة الخلق كما جاءت في الاصحاحات المذكورة ، مع بعض (الرتوش) والإصلاحات التي اقتضتها طبيعة نظم الشعر ، وقد لخصها تلخيصاً حسناً قريباً من الأصل ، يدل على إحاطة به . ولعلّه من وضع شاعر أحب صوغ هذه القصة في شعر ، فنظمها ونسبها الى (عدي بن زيد) .

وقد ظل العباد يتغنون بخمريات وبشعر (عدي) أمداً طويلاً بعد وفاته . وقد كان (القاسم بن الطويل) العبادي ، أحد ندماء (الوليد) الثاني ممن يروون

---

١ الحيوان (٤/١٩٧ وما بعدها) .
٢ الحيوان (٤/١٩٧) .

شعره ، وحبذه الى الخليفة ، الذي كان شاعراً يحب الخمر ، وينظم الشعر فيها، مما صار باب من أبواب الخمريات في الشعر الإسلامي[1] . ومن شعره قوله :

أيها القلب تعلل بددن إنّ همي في سماع واذن[2]

ومن الشعراء النصارى الذين نص أهل الأخبار على تنصرهم : (موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد) الحنفي اليمامي ، المعروف بـ (أزيرق اليمامة) ، وبابن ليلى ، وهي أمه ، وكان نصرانياً . قال عنه (المرزباني) انه شاعر كثير الشعر ، وقد أورد له نتفاً من شعره[3] ، ويمتاز ما ذكره بالبساطة والسهولة والليونة وهو يختلف بأسلوبه عن شعر الأعراب .

أما (الأعشى) ، وقد تحدثت عنه ، فهو من اليمامة ، وقد كان معظم أهل اليمامة على النصرانية عند ظهور الاسلام ، ولذلك فقد يكون على النصرانية ، غير اننا لا نستطيع أن نأتي بدليل مقبول يثبت تنصره ، وقد رأينا ان أهل الأخبار كانوا قد جعلوه في عداد (القدرية) و (أهل العدل) ، زعموا انه أخذها من (الحيرة) ، وكانوا عبّاداً ، وكان يزورهم يشرب الخمر عندهم ، كما كان راويته (يحيى بن منى) نصرانياً ، ولكن النصرانية لا تعني القدرية ، وكون راويته نصرانياً ، لا يعني انه كان نفسه نصرانياً ، وأما ما جاء في شعره من قصص وأمور معروفة عند النصارى ، فلا يكون دليلاً على تنصره ، فقد وردت مثل هذه الأمور في شعر غيره ، ولم ينص أحد على تنصرهم ، ثم ان شعره لا ينم على تعمق في نصرانية[4] ، لكني لا أريد أن أثبت انه كان وثنياً ، فوثنية الأعشى أو نصرانيته تخصه وحده ، وأنا لا أريد أن أنقص عدد النصارى ، وأن أزيد في عدد الوثنيين ، وانما هو رأي واستنتاج ليس غير .

ومن شعره الذي تطرق فيه الى أمور نصرانية قوله :

فما أيبلي على هيكل بناه وصلّبَ فيه وصارا

---

١ بروكلمن (١/١٢٥) .
٢ أمالي المرتضى (١/٣٣) .
٣ المعجم (٢٨٥) ، (فراج) ، شرح الحماسة ، للمرزوقي (٣٢٦) ، (عبد السلام محمد هارون) ، الاغاني (١٠/١١٣) ، الخزانة (١/١٢٦) .
٤ G. Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, I, S. 33.

يراوح من صلوات المليك طوراً سُجوداً وطوراً جُؤارا
بأعظم منك تقي في الحساب اذا النسمات نفضن الغبـــارا

وهي من قصيدة مدح فيها (قيس بن معد يكرب) الكندي . وقد اتخذ (المعري) هذا الشعر دليلاً على ايمان الأعشى بالله وبالحساب وبالبعث ، مما استوجب إدخاله في الجنة[1] .

وهناك أفكار نصرانية نجدها في شعر (النابغة) وفي شعر (زهير)،و (لبيد)، غير أننا لا نستطيع أن نقول إنهم كانوا نصارى ، لوجود هذه الأفكار في شعرهم، فمن الجائز أن يكون ورودها في شعرهم نتيجة لاختلاطهم بالنصارى ، وقد كانوا يكثرون من الذهاب الى الحيرة ، لمدح ملوكها طمعاً في نيل عطاياهم ، فاحتكوا بذلك بنصاراها ، وورد قصص نصراني في شعر أو نثر لا يدل حتماً على تنصر الناثر أو الشاعر ، كما أن وقوف شخص على دين من الأديان ، لا يـــدل حتماً على اعتناقه لذلك الدين . ومن هنا أخطأ الأب (لويس شيخو) في دعواه بتنصر أكثر الشعراء الجاهليين[2] .

ونجد في شعر امرىء القيس إشارات الى معالم نصرانية،مثل الرهبان وصلواتهم وسهرهم ، والى مصابيحهم ، مثل قوله :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال[3]

ولكننا لا نستطيع إثبات أنه كان من النصارى .

و (حاتم الطائي) من شعراء طـــيء ، وقد مات قبـــل الاسلام ، وقبر بـ (عُوارض) جبل فيه قبره ببلاد طيء[4] . وهو (حاتم بن عبدالله بن سعد ابن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي) ، ويكنى (أبا سفانة) بابنته، وابنه (عدي بن حاتم) من الصحابة . واليه ينسب المثل « لو غير ذات سوار لطمتني» . وسبب قوله اياه — كما يقول ذلك الرواة — ان حاتم الطائي كان أسيراً في (عنزة) ،

---

١ رسالة الغفران (١٨١) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٢٧) ، (الطبعة الثانية) .
٣ الخزانة (١/٣٣) ، (بولاق) .
٤ تاج العروس (٥/٤٨) ، (عرض) ، الحيوان (١/٢٢٩) .

فقالت له امرأة يوماً : قم فافصد لنا هذه الناقة ! وكان الفصد عندهم ان يقطع عرقاً من عروق الناقة ، ثم يجمع الدم فيشوى . فقام حاتم الى الناقة فنحرها ، فلطمته المرأة . فقال حاتم : « لو غير ذات سوار لطمتني » فذهب قوله مثلاً[1]. وروي أيضاً انه قال : « هذا فصدي » ، يريد انه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام. وقد نسب هذا المثل لكعب بن مامة ، وذلك انه كان أسيراً في عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره اياها ، فقال : هكذا فصدي[2].

ويلاحظ ان (الجاحظ) وغيره يقدمون (كعب بن مامه) على حاتم الطائي في الجود ، « لأن كعباً بذل نفسه في أعطية الكرم وبذل المجهود فساوى حاتماً من هذا الوجه ، وباينه ببذل المهجة »[3] . كما نلاحظ ان بعض أخبار الجود المنسوبة الى (حاتم) تنسب الى (كعب بن مامة) كالذي رأيته في تفسير المثل : « هكذا فصدي » .

ولما بلغ حاتم قول المتلمس :

قليل المـال يصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفسادِ
وحفظ المالِ خير من فناء وعسف في البلاد بغير زاد

قال قطع الله لسانه ، حمل الناس على البخل فهلا قال :

فلا الجود يفني المال قبل ذهابه ولا البخل في مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس مـالاً بعيش مُقتّر لكل غدٍ رزق يعود جديـد
ألم ترَ أن الرزق غـادٍ ورائح وأن الذيَ أعطاك سوف يعيد[4]

وذكر أن (زيد الخيل) عير حاتماً الطائي في خروجه من طيء ومن حرب

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٠٩) ، الخزانة (١/٤٩٤) ،لاغاني (١٦/٩٦) ، الشعر والشعراء (١/١٦٤ وما بعدها) ، الامالي ، للقالي (٣/١٥٤ وما بعدها) ، بروكلمن (١/١١١ وما بعدها) .

٢ الميداني ، أمثال (٢/٣١٧) ، الحيوان (٤/٢٧٤) ، الاغـاني (١٦/١٠٢) ، الحيوان (٥/٣٣) ، البخلاء (١٥٨ ، ٣٨٢ وما بعدها) ، ثمار القلوب (٩٨وما بعدها) .

٣ الحيوان (٢/١٠٧ وما بعدها) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٠٩) ، وتجد بعض الاختلاف في الروايات الاخرى ، المحاسن والاضداد (٤١) .

الفساد التي وقعت بين جديلة والغوث الى (بني بدر) حيث يقول :

وفرّ من الحرب العوان ولم يكن بهـا حاتم طبّاً ولا متطببا
وريب حصناً بعد أن كان آبياً أبوة حصنٍ فاستقال واعتبـا
أقم في بني بدر ولا ما يهمنا إذا ما تقضّت حربنا أن تطربا[1]

وقد أسره (ثوب بن شحمة) العنبري ، وكان شريفاً في قومه ، وكان يقال له (مجير الطير) ، لأنه أجار الطير في أرضه ، فكان لا يثار ولا يصاد بأرضه[2]. فقال حاتم :

إذا ما بخيل الناس هرّت كلابه وشقّ على الضيف الغريب عفورها
فإني جبـان الكلب بيتي موطأٌ جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها
ولكن كلابي قد أقرت وعُوّدت قليل على من يعتريها هريرهـا[3]

وظل (حاتم) أسيراً عنده زماناً ، وقـد عُيّر (ثوب بن شحمة) بأنه وقومه أكلوا لحم المرأة ، فقال شاعر :

عجلتم ما صادكم علاج من العنوق ومن الدجاج
حتى أكلتم طفلة كالعاج[4]

وقد وصفت ابنته أباها للرسول ، وكان قد سألها عن أبيها على هذه الصفة : « كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ،ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط » . ووصفه (ابن الأعرابي) بقوله : « كان جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ... إذا غنم أنهب وإذا سئل وهب ... وإذا أسر أطلق »[5] . ويجب أن تكون وفاة (حاتم) غير بعيدة عن ظهور الإسلام .

---

١ الحيوان (٣٢٩/١) .
٢ الحيوان (٢٦٩/١) .
٣ الحيوان (٣٨٣/١) .
٤ البخلاء (٢٣٥ ، ٣٧٤) .
٥ الاغاني (٩٧/١٦ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريـخ الاداب العربيـة (٧٩) ، الخزانة (٤٩٤/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٨/٢) .

ولأهل الأخبار قصص عن جود حاتم وكرمه ، ويبدأون به غلاماً ، يرعى إبل والده ، فرّ به (عبيد الأبرص) ، و (بشر بن أبي خازم)،و (النابغة الذبياني) ، وهم يريدون (النعمان) فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، وهو لا يعرفهم، ثم سألهم عن أسمائهم ، فتسمّوا له ، ففرق فيهم الإبل كلها، وبلغ أباه ما فعل، فاعتزله . ثم يروون انه ذبح فرسه،لما جاءته جارة له ، فشوى لحمها لها ولأولادها الجياع ، ثم استدعى بقية جيرانه فأطعمهم ، وبقي هو وأهله جياعاً ، ولم يكن لديه آنذاك غير فرسه هذه . ثم يروون قصصاً آخر مشابهاً ، يمتد الى ما بعد وفاته ، حيث يذكرون قصة رجل اسمه (أبو خيبرى) ، ذكروا انه مرّ بقبر (حاتم) ، وأخذ يناديه : « يا أبا عدي أقرِ أضيافك ! فلما كان في السحر وثب أبو خيبرى يصيح : وارحلتاه ! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ فقال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر اليه ، فنظروا الى راحلته فإذا هي لا تنبعث ، فقالوا : قد والله قراك ، فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فبينا هم كذلك في مسيرهم ، طلع عليهم (عدي بن حاتم) ومعه جمل أسود قد قرنه ببعيره ، فقال : ان حاتماً جاءني في المنام فذكر لي شتمك اياه ، وانه قراك وأصحابك راحلتك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ، ورددها عليّ حتى حفظتها :

أبا خيبريّ وأنت امرؤٌ حسود العشيرة لوّامها
فاذا أردت الى رمّة بداويّة صَخِب هامها
تُبَغّي أذاها وإعسارها وحولك عوفٌ وأنعامها

وأمرني بدفع جمل مكانها اليك ، فخذه ، فأخذه[1] .

ولأهل الأخبار قصة في كيفية تزوج (حاتم) (ماوية بنت عفزر) ، وكيف وجد عندها (النابغة) ، ورجلاً من النبيت ، يريدان الزواج منها ، لما وصل اليها ، وكيف امتحنتهم بقولها لهم : انقلبوا الى رحالكم، وليقل كل رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فإني متزوجة أكرمكم وأشعركم، ثم تذكر القصة تفصيل ما وقع بأسلوب منمق ،مقروناً بشعر وقرار (ماوية) بتفضيل حاتم

---

١ الشعر والشعراء (١/ ١٧٠) ، الخزانة (١/ ٤٩٤ وما بعدها) ، (بولاق) ، المحاسن والاضداد (٤١ وما بعدها) .

عليها[1] . وتذكر قصة أخرى ان (ماوية) كانت ابنة من بنات ملوك اليمن ، وكانت ذات جمال وكمال ومال ، فآلت ألا تزوج نفسها إلا من كرام الناس ، فقدم عليها حاتم ، وزيد الخيل،وأوس بن حارثة لأم ، فتقدم كل واحد يخطبها، فقالت ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ، فلما أنشدوا فضلت (حاتم) الطائي عليها ، فزوجت نفسها منه . وذكر ان (معاوية) كان يهوى حديث (ماوية)[2] .

وهم يذكرون أن جود (حاتم) جاء اليه من أمه (عنبة) ، التي كانت سخية الى حدّ الإسراف ، حتى حبسها اخوتها سنة في بيت لعلّها تكف عما كانت عليه ، إذا ذاقت طعم البؤس وعرفت فضل الغنى ، ثم أخرجوها ودفعوا اليها صرمة من مالها ، فأتتها امرأة فسألتها ، فقالت لها : دونك الصرمة ، فقد والله مسني الجوع ما آليت معه ألا أمنعَ الدهرَ سائلاً شيئاً ! ثم أنشأت تقول:

لعمري لقدماً عضني الجوعُ عضة ... فآليت ألاّ أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمي الآنَ أعفني ... وإن أنتَ لم تفعل فعض الأصابعا
ولا ما ترون اليوم إلاّ طبيعة ... فكيف بتركي، يا ابنَ أم ،الطبائعا[3]

ونسب لحاتم قوله :

واني لاستحيي حياءً يسرني ... إذا اللؤمُ من بعض الرجال تطلعا
إذا كان أصحاب الإناء ثلاثة ... حيياً ومستحيا وكلباً مُجَشَّعا
فإني لأستحيي أكيلي أن يرى ... مكانَ يدي من جانب الزاد أقرعا
أكفُّ يدي من أن تمس أكفهم ... إذا نحن أهوينا وحاجتنا معا
وإنك مهما تعط بطنَك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا[4]

وتنسب له قصيدة طويلة هي :

وعاذلتين هبتا بعد هجعة ... تلومان متلافاً مفيداً ملوما
تلومان لمّا غوّر النجم ضلة ... فتى لايرى الانفاق في الحمد مغرما

---

١ الشعر والشعراء (١/١٦٧ وما بعدها) ، الخزانة (٢/١٦٤ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ الخزانة (٢/١٦٤ وما بعدها) ، (بولاق) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٦٥ وما بعدها) .
٤ البيان (٣/٣٠٧ وما بعدها) .

الى أن يقول :

ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى ... إذا هو لم يركب من الأمر معظما
لحا الله صعلوكاً منـاه وهمّه ... من العيش أن يلقي لبوسا ومغنما
ينام الضحى حتى إذا نومه استوى ... تنبه مثلوج الفؤاد مورما
مقيماً مع المثرين ليس ببارح ... إذا نال جدوى من طعام ومجثما
ولله صعلوك يساور همه ... ويمضي على الأحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ... ولا شبعة إن نالها عدّ مغنما
يرى الخمص تعذيباً ولم يلق شبعة ... يبيت قليه من قلة الهم مبهما[1]

وهي أبيات أرى أنها من هذا الشعر الذي يشك في أكثره ، مثل الشعر المقال على لسان عروة والصعاليك ، يظهر أن الظروف الاجتماعية جعلت الأدباء ينظمون على لسانهم ، يتشكون فيها من ظلم الأغنياء ، لما كانوا يرونه من قسوة أصحاب المال على المعدمين والبائسين .

ويشك في كثير من شعر حاتم . وقد صار حاتم بالقصص الوارد عنه من الأبطال المعروفين عند غير العرب أيضاً ، فنجد له ذكراً في الفارسية وفي التركية ، وألف فيه في اللغات الأوروبية ، وطبع ديوانه جملة طبعات[2] . وكان يشبه شعر النمر بن تولب بشعر حاتم الطائي ، وكانا يشتركان في الجود وإتلاف الأموال وأريحية الطبع والتغني بذلك في الشعر[3] .

وكان (حاتم) على النصرانية على ما يظن ، وقد كان ابنه (عدي) عليها[4] .

و (جابر بن حُنَيّ بن حارثة بن عمرو بن بكر) من شعراء تغلب . وله قصيدة مطلعها :

ألا يا لقومي للجديد المصرم ... وللحلم بعد الزلّة ، المتوهم
وللمرء يعتاد الصبابة بعدما ... أتى دونها ما فرطُ حول مجرّم

---

١ الخزانة (١/٤٩٢) .
٢ بروكلمن (١/١١١ وما بعدها) .
٣ البخلاء (٣٨٤) .
٤ الاصابة (٢/٤٦٠) ، (رقم ٥٤٧٧) .

ذكر ان سبب قوله لها ، ان (المنذر بن ماء السماء) كان يبعث (عمرو بن مرثد بن سعيد بن مالك) ، و (قيس بن زهير) الجشمي ، على إتاوة ربيعة، وكانت ربيعة تحسدهما ، فجاء (عمرو) يوماً ، فقال جلساء الملك حسداً له : انه يمشي كأنه لا يرى أحداً أفضل منه ! فجاء فحيّا الملك بتحية ، فقال جابر هذه القصيدة[1] . وقد أدخله (بروكلمن) في عداد الشعراء النصارى[2] .

ويذكر انه هو (جابر) المذكور في البيت المنسوب لامرىء القيس ، وهو:

فإما تريني في رحالة جابر على حرج كالقر تخفق أكفاني[3]

وكان امرؤ القيس آنذاك مريضاً ، فكان (جابر) و (عمرو بن قميئة)، يحملانه على الرحالة ، وهي خشبات ، وهي الحرج .

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (٥٦٢/٢ وما بعدها) ، اللآلي (٨٤٢) ، المفضليات (٢٠٨) .

٢ بروكلمن (٧٣/١) .

٣ من قصيدة :
قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
ديوان امرىء القيس (٨٩ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٧٤/١) ، الشعر والشعراء (٥٣/١) .